ان هذا المفهوم الاداري الفني هو الذي ادى الى اعتبار الواقعية الاشتراكية ظاهرة سوفيتية ، مع ان النضال من اجل الاشتراكية كوني والفن المرتبط به كوني ايضا ٠

يبقى امامنا سؤال هام ٠ لماذا دار معظم البحث والحوار في حقل الواقعية مع انها ارث برجوازي ؟ ٠ كان من المنطقي ان يستفيد الفنانون من التراث الانساني الثقافي بعد قراءته بشكل نقدي ٠ لكن الامر هنا جاوز القراءة النقدية للتـــراث فقد بقي في قلب التراث : « دائما في اطار الواقعية » ٠ كانت الواقعية الانطلاق دائما ٠

يعود ذلك ــ في تقديرنا ــ الى سببين احدهما ذاتي والاخر موضوعي ٠

فاذا تناولنا السبب الاول نجد ان محاولات التنظير للادب ومساره اثرت عليه ودفعته باتجاه معين ٠ لقد ساد في تلك الفترة شعار « استعادة افضل ما خلفته الثقافة البرجوازية بشكلها الديمقراطي ، وكانت الواقعية ممثلا لوجه هذا التراث الديمقراطي ٠ يضاف الى ذلك النزعة المضمونية التي خلفها بليخانوف ، وان كتابات ماركس وانجلز عن الادب والفن لم تنشر الا عام ١٩٣٢ ــ ١٩٣٤ ، على يد جورج لوكاش وميخائيل ليفشتس Mikhail Lifshitz ٠ أما جورج لوكاش فقد بدأ اعماله النظرية وانهاها خلال اكثر من نصف قرن معتمدا على مفهوم الواقعية ، « كل فن عظيم واقعي » ٠ كتب عن الواقعية و « الواقعية العظيمة » وبالتالي فان مفهومه للادب الاشتراكي كان امتدادا لرؤيته لادب الواقعيـــة القديم ، ولم ير في الادب الجديد الا واقعية جديدة ، واقعية تتابع تقاليد بلزاك وفلوبير وتولستوي ٠ فاذا عدنا الى ليفشتس الذي ساهم في تقديم تأويل محافظ لاعمال ماركس وانجلز ، لوجدناه عدوا شرسا لكل انواع التجديد في الفن ٠ ويدخل في حقل العامل الذاتي عنصر اخر يكمن في النظرية الماركسية نفسها ، فقد قدم ماركس نظرية في التاريخ لكنه لم يترك الا مؤشرات عامة ومنهجيـــة فلسفية تعطي اساسا لنظرية في الفن لا نظرية جاهزة في الفن ٠

وبشكل عام فان التنظير الفلسفي للفن والادب ساهم في تشديد مسارهما لأن نسي الخصوصية الجمالية مرجعا اياهما الى شكل ايديولوجي بدون تميز ٠

اذا عدنا الى السبب الموضوعي وجدناه مكتوبا في التاريخ ٠ فالطبقة العاملة لم تظهر على مسرح التاريخ الا بعد الثورة الصناعية ، ولم تصبح طبقة مسيطرة الا بعد ثورة اكتوبر ، اي انها لم تهيمن سابقا لا ايديولوجيا ولا سياسيا ، لذلك كان على الفنانين صياغة نظرية فنية تلازم الممارسة الفنية الجديدة ٠ كان الوعي السياسي جاهزا بدون ان يعايشه وعي جمالي موازٍ ، اي كان هناك فرق وتفاوت بين الوعي السياسي للعالم والوعي الجمالي له ، فاتجهت الانظار الى « وجـــه التراث الايجابي » والى البحث عن الجديد ، بحث لم يكتمل ٠ بشكل آخر :